منزول فاطمة

خواطر

عودة الجدة يمينة

كتوباتي
kotobati

عودة
الجدة يمينة

رحلة الحب والذكريات وأوقات السعادة مع الجدة يمينة

منزول فاطمة

خواطـــر

الكتاب: عودة الجدة يمينة

تأليف: منزول فاطمة

النوعية: خواطر

الإصدار: 2024

التصميم والتنسيق: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

الفهرس

الإهداء.. 5
المقدمة.. 6
صدى الذكريات.. 8
نجوم السماء لجدتي الراحلة.. 10
عباءة الحكمة.. 12
لوعة الحنين.. 14
ذاكرة القلب.. 16
سنة الفراق.. 18
عيد الفقد.. 20
نغمات الحنين في صباح العيد..... 22
حديث الروح في ثنايا العيد 24
عبق الماضي.. 26
أعماق الفقد.. 28
الكتمان المؤلم..... 30
سكون ما بعد العاصفة.. 32
مسيرة الرجل.. 35
الأصداء الحانية.. 37
الصداقة في زمن الألم.. 39
دفء لا يُنسى.. 41
ذكرى محفورة.. 43

نجمة غابت.. 45
وحدة صامتة.. 47
الترحل الصامت.. 49
ثمينة هي اللحظات.. 52
حضن الذكريات.. 54
ومع كل شروق شمس جديدة.....56
عندما تحتضنني جدتي بدفئوسلام في عالم الأحلام 58
الخاتمة.. 60

الإهداء..

لجدتي العزيزة، أغارُ على ذكراك الجميلة وروحك النقية التي لا تزال تعيش في قلوبنا. فقد كنتِ مصدرًا للحنان والحكمة، وملهمة للأجيال المتعاقبة بقوتك وصبرك الذي لا يعد ولا يحصى.

أشعرُ بالامتنان العميق لكل الأوقات التي قضيناها سويًا، والدروس التي علمتني إياها بعناية وحنان. لقد كنتِ الشمس التي ملأت حياتنا بالدفء والضوء، وستظلين قلبًا مشعًا في ذاكرتي إلى الأبد.

جدتي الحبيبة، أنت أكثر من مجرد شخص في حياتي، أنت البطلة التي قادتنا في رحلة الحب والأمان. أنتِ العنصر الذي يربطنا بجذور قوية ويذكِّرنا بأصولنا وقيمنا.

في كل يومٍ أتذكرك وأرسل لك الدعاء والحب، في أمان الله يا جدتي الرائعة. قد تكونين غائبة جسديًا، لكن روحك وذكراك ستظل حاضرة للأبد في قلبي.

كل حب والتقدير

منزول فاطمة

المقدمة ..

مع نسمات الشوق التي تعانق أرواحنا، أقدم لكم "عودة الجدة يمينة "، مقدمة إلى أعماق التاريخ وقلب الذكريات . هي دعوة للسفر خلال الأزمنة المنسية، لنستعيد دفء المشاعر الجدة يمينة رحمها الله التي وشحت حياة الأحفاد بالمحبة والاهتمام.

في طيات هذا المقام، ستجدون أنفسكم تتنقلون بين دفاتر الذكريات، تستعيدون الحكايات التي كانت تملأ أمسيات العائلة وتتناقلونها ككنز من الماضي. " عودة الجدة يمينة " مدخل إلى فهم كيف أن حياة الجدة يمينة قد زرعت فينا بذور الحب، الانتماء، والقيم.

لعل الوقت شافٍ للجروح السطحية، وطبيب ماهر يسكّن آلام السنين. لكن هناك أسرار ولحظات مغروسة في الأعماق، تلك التي تسكن الزاوية اليسرى من قلبك، التي تستطيع أن تسرق منك ابتسامة الشفاء وتطعنك بخنجر الألم في آنٍ معًا. البوح عملية معقدة، تتطلب الشجاعة لجرد النفس وكشف خباياها، وهنا يكمن التحدي الأكبر عند الحديث بصدق ومن دون أقنعة.

"عودة الجدة يمينة"، ليست مجرد عبارة على ظهر كتاب، بل هي دعوة للغوص في قلب معاناة ومجد الأمهات. المرور عبر الصفحات كرحلة في حنايا الروح، حيث الدموع والابتسامات تلتقي في خيط رفيع من الحب الذي لا تحده حدود.

الأم... هذه الكلمة التي تتردد كنسمة هادئة لكنها تحمل ثقل الجبال، المعنى الذي يمتد أبعد بكثير من عملية الحمل والوضع. الأمومة ليست لحظة، بل هي مجموعة لحظات، سلسلة من التضحيات تمتد لتشكل كيانًا حيًا يتجاوز حدود الزمان. هي تلك الأيدي التي تربى، والعيون التي لا تنام، والقلوب التي تعمل بلا كلل أو ملل من أجل صنع مستقبل أفضل لأولادها.

في نهاية المطاف، "عودة الجدة يمينة" يمثل تحية إجلال وتقدير لمن تحمل لقب "أم" بكل فخر واستحقاق، وهو رسالة تذكير بأن الدفء الذي نسعى إليه غالبًا ما يكون مختبئاً في أحضان الرحم التي أضاءت بدموع وابتسامات الأمومة.

صدى الذكريات ..

"لحن الحنين إلى جدتي"

غالباً ما نخادع أنفسنا بأوهام النسيان، ونزعُم بأننا تجاوزنا آلام الفقد. نمضي في رحلة الحياة معتقدين بأن الأيام، برتابتها ودورانها، قادرة على محو الأحزان. لكن الزمن، بحركته الدائبة، لا يستطيع طمس الذكريات التي تترك بصماتها في أعماق الروح .

تلك الرائحة العابقة التي تُشعل فتيل الذكريات، ذلك المنظر الذي يوقظ الحنين، تلك الأحاديث الدافئة، كلها وسائل للزمان تُهدينا لحظات عابرة تُعيد إلينا شخصًا رحل عن عالمنا. فقدنا فيها الأم والجدة، رمز العطاء والحنان، التي تركت خلفها فراغًا لا تُملأ جوانبه.

تلك الدموع الصامتة، التي تجري بألم وحب، هي كلمات مُرثية لا تُنطق، لكنها تُسمع في أعمق أعماقنا، تقول: "أنا لا أزال أعيش بينكم". في هدوء تلك الدموع، نجد صدى وجودها الدافئ، صوتًا يهمس بالوداع لكنه لا يفارقنا. الرحيل جزء من رحلة البقاء، لأن من نحب لا يغادرون حقًا، بل يستمرون في العيش في معابد قلوبنا.

اليوم، نقف على شاطئ الذاكرة ندعو لها: "رحمه الله عليك يا جدتي". ونحمل مشاعل الذكرى، مُضيئين بها دروبنا، ونحن نعلم أن كل دمعة تخبرنا أن الحب لا يعرف الموت، وأن الروح التي أحبت، تظل تعيش فينا خالدة، متجاوزة حدود الغياب. وبكل دمعة نتذكر أنها معنا، تلك هي الهدية الأبدية التي تركتها جدتي العزيزة، الأثر الذي لا يمتحي، وحكاية الحياة التي لا تنتهي.

نجوم السماء لجدتي الراحلة ..

"رسالة حب وذكرى "

إلى روحك الطاهرة، يا من ترقدين الآن تحت ثرى الأرض الطاهر أهديكِ المفعمة بالحب والأسى. سامحيني إن كان بكائي قد عكر صفو رحيلك، فقد دعوت الله ليل نهار أن يحتضنك في فسيح جنانه، بينما كانت دموعي تغمر وجنتي، فارتج لها صدر الزمان.

أعلم يا جدتي العزيزة أن الموت حق مكتوب على كل حي، وأننا جميعاً عابرون في مسيرة الحياة هذه. لكن فراقك... آه من فراقك، قد خلف في قلبي جرحًا عميقًا، ونزع من روحي بريق الفرح. لم أعد تلك الفتاة القوية الذي ربيتها على يديك، فبغيابك فُقِدَ الدفء والسلام.

أفتقد يديك التي كانت تربت على كتفي، ضحكتك التي كانت تزرع السعادة في يومي، نصائحك التي كانت بمثابة منار يهديني في لحظات ضعفي. العالم لم يعد ذاته منذ أن أغمضتِ عينيك للأبد، إذ غيابك أفقد حياتي التوازن والاتجاه.

أشتاق إليك في كل لحظة، كلما ألمني شوقي إلى أغلى وأطهر قلب عرفته. كنت لي الأمان في الحياة، والآن بدونك أتعلم كيف أواصل المسيرة رغم الفجوة. رحمك الله يا جدتي وأسكنك فسيح جناته، وجعل قبرك روضة من رياض الجنة، و إن شاء الله في الفردوس نلتقي.

عباءة الحكمة ..

"خطى في أثر جدتي "

في ظل عطائك، يا جدتي الحبيبة، أجد نفسي اليوم قد نضجت، وبدأت أعكس صورة منكِ في المرآة. تسللت عاداتك إلى روتيني اليومي، فأصبحت السكون يرافق أنفاسي، والزحام يثير في نفسي القلق والتوتر.

نعم، يا جدتي، كبرت كثيرًا... وبتُّ أفضل الانسجام مع الصمت أكثر من الضجيج، أعتنق السكينة بدلًا من زخم الحياة الصاخب. كبرت وأدركت مع مرور الأيام أن نكهة الشاي تغدو ألذ عندما تعانق الأعشاب، ورائحة العنبر تنقلني إلى حكاياكِ القديمة.

ها أنا يا جدتي، كبرت وأصبحتُ أستلذ بلحظات العزلة، أقرأ، أبكي، وأشتاق بصمت، وأتأمل في الحياة دون شريك يشاطرني تلك المشاعر، فكأني يتيمة الفؤاد في زحام الوجود. والأصدقاء، يا جدتي، قلّوا تباعًا، كأوراق الخريف التي تفر من على الأغصان، مخلفة وراءها صدى الهدوء الذي بدأ يسعدني وكأنني اكتسبت حسك العميق.

ويا لتلك الليالي التي لم يعد السهر فيها مغريًا؛ أجد في هدير البحر ملجأ كما كان لك، والأحلام بالفستان الأبيض تلاشت لتفسح المجال لواقع أكثر تعقيداً؛ العالم لم يعد كما كان، البساطة صارت أسطورة يصعب التشبث بها، والأصالة ضاعت بين الوجوه الزائفة والآهات المقنّعة.

أضحى يا جدتي السواد يلون الشوارع، والهموم تطوق الأعناق، كيف لي ألا أشتاق إلى حرارة عتابك الذي كان يمتزج بحنان يدوي في القلب والروح! أشتاق لبراءة الطفولة، لتلك التوبيخات الصادقة التي كنت تنثرينها كورود من اللين والمحبة، بينما الحياة اليوم تصفعني بلا رفق، تقسو عليّ بلا انصاف.

هجر الحب الصادق واستولت المصالح على مساحات العطاء، والصلح صار مجرد مجاملة متكلفة تسلبنا صدق التواصل والاهتمام. يا جدتي، لقد كبرت لأجد أن العالم لم يعد مثيرًا كما كان يبدو في أحلام الصغار، ولكن في قلبي، لا تزال بذاكرتي صغيرتك المدللة، ويرقد حضنك كعالم خاص بي دافئ وآمن في خيالي.

أه، كم أشتاق إليك يا جزءًا من الروح والقلب، يا من كنتِ لي المأوى والوطن !

لوعة الحنين..

"رسالة إلى قلب رحل"

الحنين يزورني دون استئذان، يأتي كموجة تغمر الروح بلا سابق إنذار. في هذه اللحظات، يتسلل إلى داخلي، يجتاحني شعور عميق بالاشتياق إلى تلك الروح الراحلة التي تترك في الفؤاد آثاراً لا تُمحى. هي التي غابت عن ناظري لكنها لم تفارق يوماً ذاكرتي وقلبي الذي علمته الحب والحنان.

ذلك القلب الكريم، الروح الصافية، أحساسي بكِ يتجدد في كل لحظة كنسمة هواء تحمل عبق ذكراك. أخالكِ هنا بيننا، كلماتك الحانية تتردد في أذني كأنغام تحاكي الوجدان، وأفتقدكِ بشكلٍ لا تعلمينه.

الحياة بعدكِ أصبحت مختلفة، كما لو أنّ الحس الذي ينبثق من ذكرياتكِ قد خفت، وكيف لي أن أواصل دون صدى دعاءك الذي كان يسبق خطاي؟ القلب يحترق شوقاً، والروح تتلمس الطريق في عالمٍ أُريد أن يخلو من حنانك. فالجدران التي كانت تضج بالحياة بوجودك، باتت اليوم تصدح بصمت يخيم على كل ركن.

يوم رحيلك لم يكن يوماً عادياً، فقد خطّ في ذاكرتنا كلمات من الأسى الذي لا يُنسى. لقد غرستي في قلبي عشق الخير، وأحكمتِ في ذهني حبك الذي يناديني كل وقت. لا ينفك لساني يرتل الدعاء من أجلك، راجياً أن ترعاك السماء برحمة لا حدود لها.

أتمنى لو أن الأيام التي جمعتنا قد تعود، كأنك ما زلت بيننا، ترافقينا بروحك الحانية. لا يسعني إلا أن أرفع الدعاء، أسأل الله عز وجل أن يتغمدكِ بواسع رحمته، وأن يحتوي روحك في الخلود، وأن يرحم جميع موتانا وموتى المسلمين.

اللهم يا رب العالمين، أغفر لهم وارحمهم برحمتك التي وسعت كل شيء، وأحسن مستقرهم ومثواهم، واجعل الجنة دار الخلود لأرواحهم الطاهرة.

ذاكرة القلب ..

"حديث مع ظلٍّ لا يغيب"

في خضمّ الحياة، أجد نفسي معتركاً من المشاعر المتضاربة. تلامس الروح خليطاً من الصمود والانهيار، من اللامبالاة والكسرة – وها أنا، هذا الأنا المركّب، يُجاهد دون كلل. لم أفز في معركة مع القوة السلبية التي تسكن دواخلي، ذلك الضيف الثقيل الذي لم أنجح بعد في طرده خارجاً.

تعالت محاولاتي، ولكن، يبدو أني قد خُذِلت في كل مرة. والآن، ولا خيار لدي، آتي إليك باحثاً عن القوة الضائعة، تلك القوة التي اعتدت أن أستمدها منك. أردت أن أشاطرك حديثاً عن وحدة موحشة تعوي في وجهي ككلب شرس، عن صمتٍ أليم جفَّت موسيقاه، وعن مساعي فشلت وراء فشل، تحاول تحسين رسم مستقبلٍ لم يجف حبره بعد.

حملتُ في جعبتي رغبة في البوح عن أحلام وطموحات يبدو أن القدر يلوي عنقها، وعن حوارات لا تنتهي بيني وبين نفسي، التي أصبحت رفيقي الأوحد في الأونة الأخيرة. عن الحزن الذي يغشاني مفاجئًا كزائر لا يستأذن

الدخول، عن رغبة في البكاء تختطفني دون سابق إنذار ولا ترغب بإطلاق سراحي.

كما أحمل حديثاً عن خوف يأكلني وعن ألم يتسكع في أوصالي، عن صرخة مكتومة تختنق داخل الصدر، بحثت عن كيفية تحريرها دون جدوى. عن عطركِ الذي لا يزال يسكن أطراف أصابعي، عن شامتك الخضراء التي تستلّ النظر.

لكن كل هذه المشاعر، هذه الكلمات، لا تجد طريقًا للوصول إليك. فما باليد حيلة، سوى إعادة تقليب صفحات الذكريات الجميلة التي جمعتنا، وانغماسي في الاشتياق إليك و إلى كل شيء كان فيك يومًا ملكًا لي.

سنة الفراق ..

"حنين إلى حضن لم يزل"

مضى عامٌ كامل بدونها، عامٌ من الحنين الذي لا ينقطع. يداي التي لطالما لهثت خلف لحظات البساطة، كانت قد أمسكت بقلم عازمةً على رواية ملحمة من الأسى، رحلة محفوفة بالكلمات التي تعيد للقلوب نبضها بعد أن يُعلن الحزن موتها.

أتذكر جيداً، يا جدتي العزيزة، تلك اللحظات من العام الماضي حين شهقت آخر أنفاسك، وكيف شحبت عيناك الدامعتان بنظرات محملة برسائل غامضة لا يفسرها إلا القلب. لا أحد منا تلمّس ما كنتِ تحاولين إيصاله، ربما كانت وصية الروح التي لا تكتب.

أسفي يطوقني، فبعدك تحوّلت إلى ظلٍ لا يعرف إلا الأنانية، جدتي الحبيبة، لم أكن أتخيل يوماً أن الرحيل سيأتي بهذه السرعة. لم تشبع عيناي بعد من ملامحك، وروحي لا تزال توقّع باسمك في كل زاوية من البيت.

حتى الآن أتساءل، هل هي مجرد أوهام تعانق وسادتي في سكون الليل، أم أنكِ فعلاً تزورينا بعد منتصف الليل؟ يا ترى، هل تستطيعين احتمال الألم الذي يتدفق من عينيّ كلما حاصرني الشوق إليك؟

أعترف، وكلي ألم، أن الاشتياق إليكِ لا يغادرني. فقد افتقرتُ إلى من أتحدث معه، إلى من ينظر إليّ صامتاً، يضحك على طرافاتي، كما كنتِ تفعلين. أزحف في هذه الحياة مثقلة بالوحشة، متشبثة بخيوط الأمل الرفيعة، أنطوائية محاصرة بين الجدران التي كانت ذات يوم تشهد على قهقهاتنا.

أتدرين، يا أغلى ما في الوجود، كم أنا نادمة على كل لحظة لم أقبل فيها يديكِ أو لم أرقص أمامك فقط لأرى الدنيا تلمع في عينيكِ؟ لو يعود بي الزمان، لاحتضنتكِ مرة أخرى، لأعلن أمام العالم أنكِ كل ما يهم.

مع انقضاء هذا العام، يقيني بأن جدار الموت لن يفصل بيننا إلى الأبد يزداد. يمكن للغيب أن يبقيك بعيدة عن أنظاري، لكن ليس عن قلبي الذي قرّر اعتمادك خالدة فيه. يوماً ما، سنلتقي مجدداً حيث الجمال لا يندثر. ستبقين، جدتي العزيزة، الحب الذي لا يخبو.

عيد الفقد..

"وجع الأعياد الخالية "

العيد يطلّ بوجهه المألوف، لكنه هذا العام غريب الأطوار. لقد فقدت الرغبة في أن ابتهج، فرحة العيد لم تعُد تعني لي ما كانت عليه يوماً. الجميع يزدانون بأثواب العيد، يملؤون الأجواء بضحكاتهم، لكن بالنسبة لي، حتى هواء العيد يحمل عبقًا من رائحة الذكريات الحزينة، الذكريات التي يتخللها صدى وداعك.

لا أستطيع وأنا أسير بين الناس أن أنسى، جدتي العزيزة، صدى صوتك الدافئ، أو ذكراك التي تلازمني كظلي. ذكرى ترفرف على خيوط الوجع، دعواتي تصعد للسماء منادية بالرحمة لكِ، وكلماتي تهمس بأن يكون عيدك في الجنة أجمل وأكمل.

جاء العيد وأنتِ غائبة، يا جدتي، أعرف أن الموت جزء لا يتجزأ من رحلتنا الدنيوية، أدرك أن كل نفس آيلة للفناء، وأن روحك الطاهرة لن تعود. لكن ذلك لا يخفف من وجع الفراق، فقدانك كان زلزالاً لم تستقر له نبضات قلبي بعد، ودعاؤك أصبح يردده لساني في حزن.

كنتِ لي كقلبٍ يمتلئ بالسكينة والراحة كأنه جنة صغيرة، وبغيابك علمت أن الطيبين في هذا العالم قد لا يطول بقاؤهم. حياتي مؤلمة دونك، جدتي، كلما احتجت إلى حضنك الدافئ، إلى نصائحك التي كانت بمثابة النور لطريقي.

قلبي يفيض حزناً وعيناي تذرف الدموع للنوم الأبدي الذي فارقتيني لأجله، وروحي لا تزال عطشى لوجودك، لكنني راضٍ بقضاء الله وقدره. وأعاهدك أن دعاءً لن يفتر عن الصعود إلى السماء، وأن قلبي لن يكف عن احتواء ذكراك، وستظل صورتك ترفرف في مخيلتي بين حين وآخر.

عيدك في الأعالي يا جدتي، الجنة دارك، والسلام قرينك. رحمك الله وأسكنك فسيح جناته.

نغمات الحنين في صباح العيد

في صباح يوم العيد المشرق بأنوار الأمل، كيف لا وقد اكتست السماء بصفاء يشبه في نقائه ماء زمزم، تُلهم النفوس وتُجدد الآمال. صباح يعانق بهجة البدايات الجديدة، لكنه على روعته لا يُحاكي الدفء الذي كانت تغمرني به جدتي. تلك الأحضان التي كانت تُحول صباح كل عيد إلى قطعة من الجنة.

هذا الصباح، مع ذلك، يفتقر إلى البراعم الندية للأمل والفرح والسرور التي كانت تزين أعيادنا السابقة. لا يزال يتردد في أذني صدى ذلك الحلم الذي كان يُطلق إيقاعه الطفولي، لأصير أسعد من في المنزل مع قدوم العيد. للأسف، تلك اللحظات الزاهية قد تبدلت الآن وغاب عنها ألقها.

في هذا الصباح، وجدت نفسي أدخل في صراع مع قلبي الثائر، أمسكه بين يدي محاولةً ثنيه عن الجمود وأحدثه بإلحاح: أرجوك، امتلك القوة، كُف عن الوهن، بل عُد كما كنت. وأعدك أنني سأطهّرك من الأسى. قلبي الذي بدا كأنه يذرف الدموع مجازاً، وعدني بأن يستعيد عنفوانه ويكرس نفسه لقوة أكبر.

وها أنا أختبره، أضع سماعاتي وأشغل موسيقى هادئة وحزينة. أرقبه في صمت، أترقب لحظة انهياره، وهو ينزف الألم لفراقك، يا من كنتِ لقلبي وطناً. يذكرني ذلك القلب بسؤال خطر في بالي، في رسالة خطيتها في لحظة شجن: يا قلبي الذي عهدته قوياً، كيف غلبتك نغمة؟

أبعث إليكِ، يا جدتي، أطياف المحبة بمناسبة عيد الأضحى المبارك. كل عام وأنتِ حيث النعيم لا يفنى، تنعاد على روحك الطيبة بالصحة والعافية وراحة البال. وفي كل شروق، سأتذكرك بالدعاء والحب، وأعيد على مسمعي أحاديثك التي كانت لصدى العيد بمثابة الروح للجسد.

حديث الروح في ثنايا العيد

في اليوم الثاني من العيد، تتعالى وقعات قلبي متسائلة، هل يظن العالم حقاً أنني قد نسيتك، يا جدتي الغالية؟ كلا، ورب السماء، إن ذكراك لا تغادرني لحظة. أنت روح تسكن ذاتي، نبض يتردد في عروقي بكل إيقاع، وذكرى لا تمحوها الأيام. إنك جزء لا يتجزأ مني، وأنا بدونك كقطعة تائهة تبحث عن موطنها.

منذ رحيلك، شعرت بأن الثقة في الأشياء والأشخاص تتسرب من بين يدي. قلبي الذي كان يحلق بأجنحة الأمان معك، بات مثقلاً، جريح الأجنحة. على سريري، أجد نفسي وحيدة أحتضن ذكرياتي بك، أحيط قلبي بها كما لو كانت درعاً يحميني من برد الواقع.

في صمت اللحظات، كنتِ لي الصديقة والأهل والملاذ، مدرستي في دروس الحياة وملاذي في وقت راحتي. لا تدركين كم هو مؤلم ومباغت أن يلوح وجهك الحاني وسط ظلام الليل، كشعاع نور يتسلل إلى كل زاوية من زوايا وجداني، سواء كنتِ في الخارج أو داخل هذا البيت الذي يفتقد حضورك.

أتيتِ إليّ في لحظات الهدوء، تملئين المكان بوجودك، تجعلين الصمت نفسه يتحدث. أقر بأنني، بعدك، لم أعد كما كنت. فتاة شرعت في رحلة العناية بذاتي، توقفت عن التماس العون من الآخرين قريبهم كانوا أم بعيدين. بعدكَ، يا جدتي، العالم لم يعد يحتضن معاناتي بفهم، ولا يدركون كتلة الاكتئاب التي أحملها داخلي.

وفي تلك السكك من الحياة، لا بد أن أقول إنكِ كنتِ الوفاء بعينه، أكثر صدقاً و إخلاصاً من كل من حولي. إشتياقي إليكِ يا جدتي ليس له حدود، ولا الشوق إلى صوتك ونصحك. في ثاني أيام العيد، تتوهج ذكراكِ بقوة، تضئ فضاء قلبي وتبقين أقرب إلى نفسي مما كان.

عبق الماضي ..

نداء الروح المفرط في الحنين

في زحام هذه الحياة، باتت معضلتي ليست في الشعور ذاته، بل في الإحساس المفرط الذي يخنق أنفاسي. هو ذلك الشعور الذي يزيد عن حده، فلا يترك مجالاً للنفس لتتنفس، إلا من خلال غصات القلق والألم. أشعر برغبة عارمة في الغرق بنومٍ يمتد لألف سنة، ليس لأن الإرهاق قد أثقل كاهلي، و إنما لأن قلبي يتجرع حسرةً تسلب مني روح الحياة نفسها.

كم أتمنى لو أن الزمن يعود بي إلى تلك الأيام الخوالي، إلى طفولتي التي اكتسحتها السعادة والضحكات المتواصلة. أحنّ لتلك الأيام التي لو استطاعت العودة، لأعادت كل شيء إلى ميزانه الطبيعي، بما في ذلك إعادة أنا المفقودة إلى ذاتي الحقيقية.

الحنين يعتصرني لحديثنا ولتلك اللحظات التي فيها كنتِ تطلقين الضحك من أجل أتفه الأسباب. بوجودك، كانت الوحدة مفهوماً غائباً عن قاموس حياتي. ولكن، بعد رحيلك، بات العثور على من يفهمني ويحن عليّ مهمة مستحيلة. في هذه الفترة، أشعر بغيابك عني بشكل أقسى، يغمرني اليأس

وأنا أتقلب في رغبتي الملحة في رؤيتك، في سماع صوتك، وفي الاستظلال تحت ابتسامتك التي كانت لي ملاذاً وسلاماً.

الشوق إليك يتفاقم حتى بات يعصف بداخلي، مثل إعصار يمزق كل شيء في طريقه. لقد صرت أجد نفسي أتوق للانتقال إليك، فالبقاء هنا، في هذا الواقع الممزق بالفقد، بات يثقل كاهلي إلى درجة لا تطاق.

في ليالي الوحدة تلك، أخشى أن يكون مصيري هو الذبول البطيء بنزيف داخلي، نتيجة التأمل المفرد في أشجان لن تجد من يداويها. يا ليتكِ هنا، لعلّ وجودك لو حتى في أحلامي، يخفف من وطأة هذا الوجع الذي يسيطر على كل خلية في جسدي.

أعماق الفقد..

"الكسور التي لا تجبر"

في حلكة ليالي الحياة قد يسأل الإنسان نفسه أو يسأله غيره، هل تذوقت طعم الانكسار يوماً؟ وإذا بالإجابات تتوالى، تُحكى حكايات الخذلان من الأصدقاء، وفقدان الوظيفة، وتحطم الأحلام. لكني أخبره بأن تلك مجرد خدوش وشروخ تستطيع الأيام مداواتها، واللحظات الجديدة تستطيع ملئها. أما الكسور التي ليست كأي كسور، فهي تلك التي تعمق جذورها في الروح بحيث لا تجمع أشلاءها كما كانت، تظل توجعنا مدى الحياة.

إن اختبار الفراق هو الكسر الذي أعني. ذلك الفراق الذي تقتلعه يد الموت من قلوبنا بلا استئذان، عندما يباغتنا ويتطاير الحبيب، يذروه الزمان في دهاليز الموت. لقد اكتويت بهذا الكسر ليس مرة بل مراراً؛ أوله كان كسر جدتي، ماما يمينة، التي غادرتنا تاركة فراغاً لا يملؤه شيء، ورحمها الله. وما كدت أجمع خطاي على الدرب حتى أذاقني القدر كسراً آخر برحيل عمي ميلود وسيدي محمد، أحملهم الله إلى مثواه الأخير دون أن تكمل الأشهر عامها.

إن النفس التي تعاني الكسور العميقة لا تستطيع استعادة وعيها كاملاً، فعيني لازالت محجوبة بستار حزني على فقدهم. العالم من حولي لم يعد يعرف إلا لغة الأسى، وحينما أحاول أن أخطو نحو البسمة، لا تخونني الحزن في عيني الذي أصبح كجزء لا ينفك عني.

مع تتابع الأيام، تزداد الكسور وتتعمق عندما أرى دموع أبي وشجنه من صدمة الفراق. أنا مكبلة بالعجز، فلا قوة بيدي تعيد له النور الذي انطفأ فجأة من حولنا. كل الفرح الذي كان يعمر هذه الحياة انقلب إلى حداد على رحيل قلب هذه العائلة؛ الأم، الجدة، الأبوان. الفقد كان كالصاعقة التي تكسر أكتافنا بلا مقدمات. هذا هو معنى الكسر الذي أقصده...

ففي ذلك الوقت فقط يدرك الإنسان أنه لا شيء في هذه الدنيا يستحق البكاء إلا إذا دُفن قطعة من القلب تحت تراب الأرض، فتركَ كسراً لا يجبر وجعاً يظل ينبض بصمت حتى و إن أحكمت الحياة ستائرها.

الكتمان المؤلم ...

"حكاية قلب أسير"

تسكن الدموع أقاصي عيوني، تختبئ وراء لمعان باهت محاولةً إخفاء الألم المستعر، واليوم أكسر حاجز الصمت لأفصح عن السر الذي طالما حُبست مشاعره خلف الأسوار الحديدية في أعماقي، الغرفة الخفية التي أختبئ في أركانها لأفلت من الواقع بكل فزعه وهلعه...

أتحدث عن قلبي، الأسير المكبل، الذي فقد مفاتيح الحرية حين سُلبت منه الروح التي كانت ملاذه وسلواه. أتحدث عن جزء من ذاتي فُقد بلا عودة، عن جدة بطعم الأمومة الفائقة، التي رحلت دون انذار.

إن الألم الذي أكننه، تنفسَه قلبي قبل رئتيّ، والدموع التي تخون الصمود فتظهر للعالم، ما هي إلا صدى دقات قلبٍ متسارعة، تأبى إلا أن تُسمَع، حتى لو من داخلي فقط. ابتسامتها القسرية التي اعتادت أن تُشرق على محياي، وصوت الأنين الخافت الذي بقي يتردد في أذني، وأقدامها التي كانت لحناً يعمر أرجاء المنزل، كلها ذكريات محفورة بشوق ممضّ لن يكف...

هي التي ملّكتني الإحساس بأنها كانت أمي وليست جدتي فقط؛ تفكيرها المستمر في كيفية رسم السعادة على وجهي، وابتسامتها كل صباح كانت تمنحني دقائق من الجنة. تلك اللحظات الثمينة التي كانت أترقبها حتى تنتهي بجملةٍ معهودة "اذهبي للمدرسة"، كأنها تعلن اكتمال زيارة القلب للروح، وحان وقت الافتراق... كان قلبي ينتزع من صدري، يستقر معها في الداخل، وأبقى أنا حاملة جسداً بلا قلب، ترافقني دموعي في صمت الطريق حتى لا تبصرها عيني أمي.

غُرفَتي، عالمي الخفي، الوحيد الذي لا امتلك فيه القوة لكبح جماح دموعي وصراخي، فتجتاحني الأوجاع الليل تلو الليل، حتى يأتي الصباح... وأبدأ من جديد مسرحية الصباح أمام الجميع، ممثلة ببراعة دور البهجة والسرور، أضحك حتى لا يرى أحد دموع قلبي الحائر، الذي ينزف في صمت، مخفيًا وراء كتماني المؤلم.

سكون ما بعد العاصفة..

"رحلة الأب ما بين الحزن والصبر"

تختبئ الذكريات الباقية كالظلال في أركان غرفة مظلمة؛ هناك، حيث تتكدس الأغراض والطموحات المتناثرة، كصفحات من كتاب لم يكتمل. ومن بين تلك الزوايا اكتشفت قلماً، كان يوماً شاهداً على الروح المعذبة التي احتوته تلك الجدران الحزينة. كان هناك، يتكئ على فراغه، يبحث عن يد تستطيع استخلاص الكلمات من ألم يعتصرها .

كأنها حكاية المعاناة الصامتة؛ تلك التي يقرأها القلم من روح صاحبه، لتتلاشى بين الحروف وكأنها لم تكن، إلا رجع صدى لآهات لا تُسمع. كنت هناك، أراقب الوجوه التي تطلعت إليّ بشفقة وروعٍ من موقفٍ لا تصوغه الكلمات. عيون مدمعة تحيطني، بينما كان وجه الأب خالياً من الدمع والكلمات، صامتاً، أبيض الوجه بينما يحتد الدم في قزحيتيه.

كان الأب الدائم الابتسام، المفعم بالأمل، يرنو إلى أمه الراحلة وهي تُحمل في صندوقها الأخير وتودع منزلها الذي عمرته بحبها ودفئها. لم أصدق أنّ

عيونه سيشوبها الحزن ذاك اليوم، فأقنعت نفسي بأنني أتوهم. لم أتحمل رؤية هذا التحول المفاجئ الذي أصابه، فغرقت في صمت يكاد يكون أبدياً.

أحسست بكلمات صامتة تسبح داخله، تحمل تساؤلات موجعة: أين أنتِ يا أمي؟ كيف سأواصل دونك؟ لقد تركتيني في منتصف الطريق... كان ذاك الصمت منه يحكي قصة الفراق الأليم، قصة لا يعرف سرها سوى قلبه المكلوم.

بعد مضي فترة، عاد الأب للعمل، لكني كنت أرى كيف كان يسارع إلى غرفتها بمجرد عودته. أحياناً يناديها قائلاً: "أعطوا هذا لأمكم" كأنها مازالت بيننا... كنت أرقبه من بعيد، وأصغي إلى صوت بكائه الهادئ الذي لا يخترقه سوى الصمت ودعاء خفي إلى الله.

وها هو يدخل البيت ذات يوم مرتسم على وجهه ابتسامة نضرة، كأنها قطعت غمام الحزن. جلس بجواري قائلاً: "يا ابنتي، تنظرك الحياة لتستمري، فلا تسلمي إلى الكآبة." ففتحت له قلبي عن كل ما رأيته وما كان يقلقني. وكان رده عكس كل توقعاتي، ففي كلماته وجدت الصبر الذي صنع من الحزن جسراً إلى الجنة.

هكذا يكون اللقاء في الجنة، ليس مجرد وعد بعيد، بل رحلة نبدأها من هنا، من قلب الحزن، مروراً بالصمود وصولاً إلى الأمل والابتسامة التي لا تغادر القلب الصادق. ت

مسيرة الرجل ..

"بين الحزن والأمل"

يسير الرجل خلال حياته عبر مرحلتين متباينتين، يأخذه الزمن من يدي طفولته حيث كان ابنًا يغمره حب الأم ويحيطه سور ذكرياتها الدافئة، إلى مكان بعيد عن مرفأ أمومتها بعد أن أودعتها الأرض، ولا تزال ذكراها كنزاً يحمله في صندوق النفس. كانت تشاركه صغائر الأمور وكبائرها، فحتى الهمسات العابرة كانت تجد لها آذاناً مصغية وحضناً رحباً.

لكن الآن أصبح رجلاً، يحمل راية كرامته عالية، يجد في صمته قوة وفي انكفائه عزاءً، متحملاً أحزانه بمفرده. هذه هي سنن الحياة؛ الفراق المحتوم ودورة الزمن التي تنقل الأجيال، هم السابقون ونحن اللاحقون. الحزن على الأم شيء فطري في نفس كل بشر، فمن منا لا يخفق قلبه بالأسى عندما يفتقد دفء وجودها؟

كل إنسان يختبر الفقد على طريقته الخاصة، وهذه الحياة مليئة بالابتلاءات والاختبارات التي تظهر صبرنا وقوتنا. "فلتصبري يا بنيتي"، هكذا قال

والدي، مُشيرًا إلى أن الصبر ليس مجرد فضيلة، بل هو جسر إلى لقاء أكبر في الجنة. الصبر على فقد الأب والأم معًا يُعلمنا قوة التحمل وسمو الروح. ومع الوقت، أدركتُ ثمة حقيقة أساسية مفادها أن لا شيء في هذه الحياة يستحق أن نغرق في الحزن لدرجة الخفوت والانطفاء. علينا بالعكس أن نكون كالشموع المتوهجة، تضيء خلال ظلام الليالي. علينا أن نبقى مضيئين، نتحدى بقوة الصبر و إباء الروح كل عتمات الحزن واليأس. لهذا، ينبغي لنا أن نتسلح بالأمل، أن نُبقي قلوبنا مفعمة بالإيمان بأنّ كل ما نخوضه اليوم هو جزء من رحلةٍ تقودنا إلى فجر جديد، حيث لقاءٌ موعود في مكان حيث لا فراق ولا دموع – في جنة الخلد.

الأصداء الحانية ..

"ومضات من ذكرى الجدة"

في كل مغيب شمس، ومع كل همسة ليل تقترب، أجد في عودتي إلى بيت الطفولة تلك اللحظات حيث يمكنني زيارة الغرفة التي جمعتني بجدتي العزيزة. تلك الزاوية الصغيرة في عالمنا الواسع التي شهدت لحظات من الفرح والحزن، الدموع والضحك. هي الملاذ الأول الذي جمع قلبي بقلبها، وهو المكان نفسه الذي شهد الوداع الأخير.

كلما سنحت لي الفرصة، أعبُر عتبتها لأرتشف منها مزيدًا من الوقت، حتى صرت أطيل البقاء فيها، كأن الزمن يتوقف خلف تلك الأبواب. حتى الآن، لا تزال ذرات الهواء معبأة بعبقها، حيث تستقبلني كل زيارة بتلك الرائحة المألوفة التي كانت تنتشر مع كل وصول لجدتي، كأنها تعود لتعتذر عن الغياب بالطريقة الودودة نفسها التي اعتدت عليها.

"أين أنتِ؟"، "إلى أين ذهبتِ؟"، "أين وصلتِ؟"... أسئلة تدور في رأسي مثل الحلزون الذي لا يجد نهايةً لمتاهته. لم يكن الزمن الذي قضيناه معًا يا جدتي طويلاً، لكنه كان يحمل كثافة الجمال وحلاوة الوقت الذي لا يُنسى.

أنا متأكدة ولست بمترددة، أن تلك الأيام التي عشتها بين يديكِ كانت الأجمل، كالوردة التي لم يكتب لها أن تذبل، لكنها فعلت قبل أوانها.

أتساءل أحيانًا، هل كل ما حدث كان مجرد سراب، حلم مثقل بالوجد قد صنعه الحنين؟ هل الوداع المرير كان حلمًا أختلقهُ الأمل فقط؟ أمضيت أيامًا أنتظر الإجابة، أعتصر الأيام بحثًا عن يقيني الآتي. ما زلتُ أنتظر اليوم الذي سنلتقي فيه من جديد، يومًا أستطيع فيه الحصول على إجابات لجميع أسئلتي، يوم أستطيع فيه احتضان الذكرى بِرُوحٍ جديدة وأسكن فيها بسلام .

الصداقة في زمن الألم ..

"الفهم الصامت"

أوجاع متكررة كانت تخلّفها الأيام، مطالب وتوقعات لا تناسب حالتي الروحية، لكنهم؛ أصدقائي، كان لهم طلب واحد بسيط... أن أكون بخير. فقط. كأن بصيرتهم تتجاوز الأقوال إلى عمق أرواحنا، حيث يمكنهم أن يشعروا بإرهاق روحي هارب من عيني الكلام.

كانوا يدركون الآلام الكامنة في أعماقي كأنها تنفجر بين الحين والآخر، كلما حاولت أن أتظاهر بالعافية. يحسون بهشاشة الكسور التي تعثرت بها خلال رحلتي وكأنها حدثت أمام أعينهم. كان بإمكانهم رؤية الوجع الذي يجبرني على الانسحاب إلى تلك الزاوية المظلمة في غرفتي، حيث يُبعدني الحزن عن العالم، في لحظات يبدو فيها الفراغ ملموسًا كأثاث الغرفة.

لم يتخلوا عني حتى في أشد اللحظات ظلامًا، تلك التي كانت تجدني أُكتّم شهقات البكاء تحت الغطاء الثقيل، وكأنه يحاول أن يخفي انكساري عن أعين العالم. كانوا هناك، يقفون كجدار صلب ضد رياح الوحدة القارسة،

فاهمين دون حاجة للأقوال، مواسين بدعمهم الهادئ الذي لا يحتاج إلى إثبات.

في زمن يكثر فيه الضجيج ويُقدر فيه الظهور الخارجي، وجدت في صداقتهم ملجأً حقيقيًا وميناءً من الاطمئنان. يُثبتون بوجودهم أن العطاء الحقيقي لا يحتاج إلى كلمات بل إلى وعي بمشاعر الآخر وتقدير لظروفه. تلك الصداقة تُبنى على الفهم الصامت الذي ينبع من القلب ويخترق أسوار الألم، فتسهل مشاركة الأوجاع وتحويلها إلى دروس من القوة والمثابرة.

دفء لا يُنسى..

"نبض الحنان الجدوي"

في زحمة الأيام ومتاهات الحياة، عشتُ بجوارك كليمة كريمة، مودعة طيبة الطباع والأخلاق. وعلى نهج العطاء والكرامة متِّ، مُكرّمة ومحفوفة بالطيبة. كان وجودك بمثابة رمز الحنان المتجدد، فقد كان حضنك للحياة وما فيها أبلغ من كل كلمة وأدفء من أي لمسة، إنه الإحساس الذي تتوق النفوس المتعبة للعثور عليه.

لكِ في قلبي مكان خاص، حيث كان حضنك لي هو الملاذ والسر الذي يُهدئ روحي وقت الاحتياج والخوف. لم يكن هناك أي حضن في الوجود يضاهي الاطمئنان الذي أجده في أحضانك، فقد كان حضنك حادثة خالية من الصدف، مباشرة من قلبك إلى قلبي. كنتِ السكن والراحة التي أبحث عنها عندما تخونني الحياة وتُثقل كاهلي بالمشاكل.

كان حضنك هو القوة التي ترد الروح إلى جسدي المثقل بالأعباء، يجدد فيّ النشاط والإصرار لأقف من جديد، بعد السقوط، لأواصل رحلتي في يوم آخر

يشبه العادية. اليوم، في غياب حضنك، أشعر بالفقد العميق، إذ لم يعد من الممكن العثور على ذلك السلام الذي كان حضنك يمنحه.

تترك ذكرى حنانك أثرًا دائمًا في النفس، مثل شعاع من نور يدفئ القلب في أشد الليالي برودة. تُعلمنا الذكريات كيفية البحث عن الدفء في تفاصيل الحياة و إعادة بناء الأمل من جديد، متحدين بذلك الفراغ الذي خلّفه غيابك.

من الآن فصاعدًا، سنحمل هذا النبض داخلنا، ونعيد تمثله في حياتنا، نتعلم كيف نكون للآخرين مصدر حنان كما كنتِ أنت لنا، فتستمر الحياة، وتستمر معها حكاية الحنان التي خطّتها أيديك بلطف على صفحات أرواحنا.

ذكرى محفورة ..

"حظة توقف الزمان"

كان ذلك اليوم، حيث توقفت الدقائق والثواني عن الانسياب في عروق الوقت، يداه تجمدت وعيون الساعة ترنحت عند تمام الساعة التاسعة مساءً. إنه يوم السادس والعشرين من ديسمبر العام 2010، حيث اضطرت الحياة للتقاعد بإرادة القدر، رغماً عن كل المنطق والمنازعات. تحولت صفحات الزمن كأوراق الشجر القديمة، وعلا سطوت الغياب فإذ بمجرى الحياة يتغير. خفتت الذكريات مثلما يخفت الضوء في مغيب الشمس، ولكن روحها لم تنسى إلا النذر اليسير؛ يوم الوداع الأخير ورائحة بعض الأزهار التي كانت تمثّل شذاه وأيام الذكرى العتيقة المشعّة باللقاءات التي نسجت أروع الجمعات. كان الملاذ الآمن لها في أوقاتها العصيبة، وبغيابه تحوَّل إلى الشغل الشاغل في ذهنها، إذ لم تكن مكانته في حياتها لتضاهيها أي مكانة أخرى.

لم يكن "محمود بوعبد الله" مجرد زوج لها، بل كان عطاءً لا ينفد؛ الأب الحنون، الأخ الحامي، الابن المُرضي. فقدانه كان كسيل جارف لم تكن

تتخيل أنه سيبتلع قواعد وجودها درجة بعد درجة. شعرت في لحظة الفقد أن العالم كله تخلى عنها، ولم تجد الكلمات الكافية التي يمكن أن تصف عظمة رجلٍ كهذا، ولا الحروف التي قد توفيه جزءًا يسيرًا من حقه. لقد كان مصدر كل ما هو جميل في حياتها، وشريك حياة أبعد من كونه نعمة تُحسد عليها.

فلتنعم بسلام يا جدي، ورحمة الله تغشاك. الذي علمتنا أن القيمة الحقيقية للإنسان لا تقتصر على الوجود المادي، بل في الأثر العميق الذي يخلفه خلفه. اليوم نقف نتأمل تلك الساعة المتوقفة، تذكارًا باقيًا لتلك اللحظة التي لم يعد بعدها شيء كما كان، ولكن تظل ذكراك محفورة في القلوب إلى الأبد، نورًا يلهم وحبًا يدوم .

نجمة غابت..

"رسالة إلى جدتي المحبوبة"

عزيزتي جدتي، يا منارة الحنان ورمز العطاء، اليوم تمتزج الوحدة بصخب ذكرياتك في داخلي، يعتصرني الشوق في كل لحظة بعدك، وتغرق حنجرتي بمرارة الفقد وألم البُعد. يا جدتي، رحمة الله عليك، أدركتُ الآن معنى الحزن الحقيقي، ذلك الحزن الذي يصاحب فقدان كلمة "أم" – كلمتان فقط تجعلان من الوجود نبضًا ومن الغياب صخبًا لا يُحتمل.

لو كانت أمنياتي تتحقق، لتمنيت ولو للحظة أخرى أن أراك وأعانقك، وأستنشق ذلك الرحيق الأثير الذي يسكن حضنك، حتى و إن كان ذلك في أحلامي المؤقتة.

طالبت ذاكرتي أن تُسافر بي إلى ماضينا الجميل، لكنها لم تجلِ إلا تلك الأوقات التي قضيتها معك – فلم يكن لها لذة بدونك. كنتَ فخرًا لي، جدتي الغالية، أفتقد دروسك البسيطة في الحياة، مثل تحضير البسكويت أو كرات اللحم المحشية التي لا يضاهيها شيء في العالم.

أتذكر أول يوم علمتيني فيه طريقة تحضير الكسكس، وكيف غمرنا الضحك عندما وضعتُ الزنجبيل بدل الملح. كانت هذه الأخطاء الصغيرة بحد ذاتها متعة وحبًا. كم تألمتُ لرؤية حزنك عندما غضب جدي بسبب خطأ لا أتقن سواه. ولا أنسى تلك الأيام التي كنت تأخذيني إلى بيوت الأقارب وكيف كنت أجد نفسي دومًا أعود إلى حضنك خائفًا ومتشبثًا بك.

لا زلت أحن إلى النوم بجوارك خلال ليالي الشتاء القارسة، حيث كان حضنك كشمس دافئة تملأ الروح بالراحة والاطمئنان. يعلمنا الإسلام أن دعاء الابن لأمه يجعل قبرها رياضًا من رياض الجنة. بكل مرة أقرأ فيها كلمة "أم"، أو أسمع أحدهم ينادي والدته، أرفع يدي للسماء داعيًا لك بالرحمة والرضوان.

رغباتي تغيرت مع الوقت، واليوم، أصبحت أسمى أمنياتي هي سعادتك في الآخرة. يا جدتي الغالية، هذه الرسالة هي نجمة متوهجة في سماء الحنين، نبراس يُشع بالحب في ظلمة الفقدان. رحمك الله وأسكنك فسيح جناته، واعلمي أن حبك سيظل يتردد في أرجاء قلبي إلى الأبد.

وحدة صامتة..

"نشيد الفراق "

محاطة بالسكون في غربة الأشياء، تقبع ذكرياتي مبعثرة عبر زوايا الغرفة؛ الملابس فوضى، وأنا ورقة متروكة في زاوية كإبداع منسيٍّ في دفتر كاتبٍ يائس. البحث المستميت عن بصيص يضيء هذا الظلام الرهيب كان شبيهًا بمحاولات كاتب لترتيب حروفه الضائعة، يتصارع مع الكتابة حتى يدرك بيأس أن لا معنى يبرر سطوره المظلمة، أن لا أحد هناك يتطلع لقراءة خيباته. صرختُ بأعماق الروح، محاولةً تحرير ما تجثو به النفس من أوجاع، لكن بُهتت الأصوات بفراغ الجدران. لم يعد هناك من يُطبطب على شعري، يواسي قلقي، أو يجذِبني إلى حضنٍ يُرجع إلى عالمي بعض دفئه المفقود. كل هذا كان قبل أن تُغادرين، جدتي، وكأنك لم تكوني قط، كأن اختيار الرحيل كان قرارًا دون إمكانية العودة.

بات كل ما تبقى مني هو أنفاسٌ متثاقلة تُرسل في الصمت اسمك، عيونٌ تائهة تُسرُد حكايات الأيام، الشهور والسنوات دون حضورك، كأثرٍ محفور يروي قصص العذاب في روح لم تعد تجد موطنها في غير حضنك.

ظل صوتي الخافت يدندن لحن الغنوة التي كنتِ تحبينها، تلك التي علّمتيني إياها وكانت ترافق أمسياتنا مع صوت غنائك العذب، ذاك الصوت الذي كان يُلقي بظلاله في الأرجاء. ودفء يديك التي تمرّ عبر خصلات شعري كانت تأخذني إلى عالم ملائكي، في زمن لم تكن وحدتي فيه شيئًا سوى زائر قصير المكث.

اليوم أعانق النوم بعد ظهيرة من الدموع والأنين، بينما تتراقص جفوني متعبة على وقع حضن الذاكرة. يا جدتي الحبيبة، لماذا تركتِنِي؟ لماذا أفل نجم غنائك في سماءِ ليلي؟ لم أستطِع أن أكفّ عن البكاء منذ رحيلك، ولا يزال الحزن يلازمني كظلٍّ لا يُفارقني. وإن لم أتمكن من الوصول إليك، فسامحيني، لكن علمي أنكِ دومًا كنتِ ملكة تتربّع على عرش قلبي، تسكنين ذاكرتي كنغم خالد لا يفنى.

الترحل الصامت ..

"العام الذي ابتلع النجوم"

بينما تُغرقنا الأقدار بغياب الأحبة، نجد أنفسنا مهجورين في ساحة الوجود التي كانت يومًا ملتقى لدقات قلوبنا المتناغمة. كان يوم واحد كافياً لتغيير مسار حياتنا.

في زاوية تبدو غريبة عن نفسها، تمتد يدي يائسة لقلم يختاره القدر؛ دعوة لمشاركة القلم رحلة الكلمات، رحلة تنقش على صفحاتها حكايا موت القلوب ولوعة الفقد الذي يستقر في الروح. بتلك اللحظات، طاردت الذكريات جفني المثقل لتنحت فيه يوم فقدناها في عام 2019، اليوم الذي صُنِفَ كأتعس أيامنا.

أتذكر نظرات الحزن التي تتلون بأسى الوجوه حولي، لحظة وداع الأم والجدة وهي تنازعُ النفس الأخير. شُلت الأحاسيس وبدوتُ كما لو أنني غائبة عن هذا المشهد، راسخة في الإنكار وكأنها لا زالت ترافقنا في الحياة.

استقبلنا التعازي في جدران منزلنا الذي كان يحتضن أحبائنا وأقاربنا. عيون الجميع كانت ترسم ملامح الأسى إلا أنا، التي ظننت للحظات أنها لا تزال

بيننا. لكن أتى الوجع شديدًا عندما بدأ الناس في مغادرة المكان والعودة لروتينهم، تاركين وراءهم حزنًا يُخيم على كل زاوية من بيتنا.

بعدها جاء الخبر المؤلم؛ وفاة عمي ميلود، الأخ والعم الرفيق، الرجل الطيب الرؤوف. فَقَدٌ تَكَرَرَ كالأمواج العاتية التي تَسْحَقُ الصخر. ألم الموت لم يكن ليفسح المجال للوداع، فقد كنتُ مُحتجزة في المنزل، أعجز عن رؤية جسده الهامد بلا روح.

الأيام تمضي كأنها سحابة عابرة، وجاء ذلك الصباح المقلق الذي اخترق صوت الطرق المفزع صمت نومي، صوت الرعب الذي وقفتُ لأجابه – خبر مرير آخر، رحلَ سيدي محمد، العمود الفقري لعائلتنا، الزعيم الذي كنا نعتز به جميعًا.

هكذا كانت رحلتكم، يا من كنتم كالنجوم التي سقطت واحدًا تلو الآخر من سمائنا في عام واحد. عامٌ خيَّم بظلامه على القلوب واستولت فيه الفقدانات. مع غيابكم، امتلأت الأرواح بالشوق، رحلتم بهدوء، يا طيفًا لم يؤذ أحدًا، تلك الأرواح النقية التي تركت فينا حكايا لا تُنسى.

رحمكم الله وأسكنكم فسيح جناته، ولكم منا كل دعوة بالسكينة والرحمة. عشتم كرماء بسطاء وهكذا رحلتم. و إن بقينا نحن، في فراقكم، نحملكم في

القلب دائمًا، نشعر بكم في كل لمسة هواء، في كل ذرة ضوء، في كل زاوية تُلقي بِنَا حيث تغمرنا ذكراكم المباركة.

ثمينة هي اللحظات ..

"اغتنام وقت الوصال "

لقد صُبغت لوحة الحياة بثوابت لا تتغير، ومن بينها انسياب الزمان دون توقف أو تراجع، فلا دوران لعقارب الساعة إلى الوراء، ولا مجال لاسترجاع ثانية واحدة مضت. تأتي هذه الحقيقة لتذكّرنا بأهمية التقاط الأوقات الثمينة مع من نحبهم ما داموا بيننا، فالعمر ينساب بين أيدينا كماء النهر، يصعب تداركه بمجرد مروره.

عملية الحياة بعد رحيل الأحبة تخلق في نسيج القلب لوعة دائمة، تجعلنا نُعاين معنى الفراق الواقعي وتحول المساحات الممتلئة بالضحكات والحرارة إلى صدى بعيد، يُلهب الروح شوقًا وحنينًا. الاستحواذ على كل فرصة للعطاء والحب والاعتناء بأركان الأسرة ليس مجرد نصيحة بل وصفة لحياة مليئة بالذكريات الجميلة التي تدفئ القلب عند الاشتياق.

إن للحياة محطة نهائية يلتقي فيها الجميع، يسبقنا أحبتنا إلى هناك، تاركين وراءهم وجوهًا تترقب لقاءً مجهول الموعد. "فأنتم السابقون ونحن

اللاحقون"، عبارة تختصر سنّة الوجود وتُرسم ملامح الوصال الأخروي . هي ساعة لم الشمل التي ستجمع شتات القلب المشتاق.

لن نضيّع الأمل في مستقبلٍ نلتقي فيه ونتبادل الأحاديث والضحكات التي لطالما تقاسمناها، ولهذا، في الأثناء، نحرص على أن نعيش كل يوم مع المحيطين بنا بملء الحب والاهتمام والتقدير. ففي النهاية، نرحل جميعًا تاركين وراءنا ذكريات تعيش في القلوب وتُلهم الأرواح. رحمة الله على كل فاقد، ورحمة الله علينا عندما نلحق بهم.

حضن الذكريات ..

أميرة قلبي في عالمي الدافئ

في كل ليلة، تنبض قلبي بشوق لجدتي الغالية التي رحلت عنا إلى عالم آخر. لم يمر يومًا دون أن أفكر بحنين مؤلم إلى حضنها الدافئة وضحكتها العذبة التي كانت تملأ البيت بالفرح. تغمرني ذكريات جميلة بأوقاتنا الماضية، حيث كانت تمتزج حكاياتها الحكيمة بعبق الورود ونسمات الهواء النقي.

ولكن، يأتي الليل ويكون لي لقاء خاص معها في عالم الأحلام. تظهر أمامي بكل تفاصيلها، كأنها عادت من جديد لتمنحني لحظات من السعادة والدفء. أحتضنها بقوة، وأشعر براحة لا توصف بوجودها بجانبي، حيث تمرضني بين ذراعيها في حضن مليء بالحب والأمان.

تتبادلنا الكلمات الدافئة والنظرات المعبأة بالمشاعر، كما كانت تفعل في أيامنا الجميلة. تحكي لي قصصها القديمة وتبث في قلبي الطاقة الإيجابية والسلام الداخلي. وفي ذلك الوقت، يتبدل شوق الفراق بسعادة اللقاء، وأدرك أن روحها الطيبة لن تفارقني أبدًا، حتى و إن كانت في عالم آخر.

ومع طلوع شمس كل يوم، تتبدل الأحلام إلى ذكريات تعيد غفوة الشوق والاشتياق. ورغم رحيلها، إلا أنها ما زالت حاضرة في قلبي وفي كل لحظة أعيشها. جدتي الحنونة، لن أنساك مهما حدث، فأنت وستبقين أميرة في مملكة قلبي الدافئة.

ومع كل شروق شمس جديدة

بعد وداع جدتي ..

بعد رحيلك جدتي الغالية، غدوت أحمل على كاهلي عبءً ثقيلاً من الخوف يختنقني بكل لحظة.. خوفٌ لا ينتهي، يتسلل إلى قلبي كالظلام الذي يلتهم كل شيء في دربي.. تتخلل أفكاري نسمات الغياب الحادة، مقترنة بصدى ذكرياتنا الجميلة التي تبدو الآن بعيدة كالنجوم في السماء البعيدة، تلمع وتختفي في ليل الحزن.

أفزع عندما يتبدل العالم من حولي، تتلاشى الألوان ويصبح كل شيء مظلماً ومخيفًا.. هل بإمكاني التغلب على هذا الخوف الذي يعتريني؟ هل يمكن لقلبي المنكسر أن يشفي جراح الفراق العميقة؟

في كل ليلة، أستلقي على سريري البارد محاولة هزيمة هذا الوحش المخيف الذي اقتحم حياتي منذ وداعك يا جدتي.. أتوه في أفكار مظلمة، لكنني أبقى مصرة على مواجهة هذا الخوف بكل شجاعة باسمها..

ومع كل شروق شمس جديد، أطلق لروح جدتي الرحيق، متوكلة على أن ضوءها سيبث الدفء في قلبي المتجمد من الخوف.. رحلت عنا جدتي، لكن

روحها تعيش في داخلي، تلهمني بالشجاعة وتذكيرني بأن الذكريات هي ثروة لا تنتهي.

فلن تكون وداعًا لك، جدتي الغالية، بل ستكون بداية قصة جديدة من الشجاعة والتفاؤل، تمتزج فيها ذكرياتنا الجميلة بروح مليئة بالصمود في وجه الخوف.

عندما تحتضنني جدتي بدفءوسلام في عالم الأحلام

في هذا الحلم الجميل، أجد نفسي في غفوة هادئة، أعصر فيها كل لحظة تواجدي مع جدتي الغالية. تتكون الرؤية الرائعة أمامي، حيث تقترب مني ببسمة دافئة وقلب مفتوح، تنظر إليّ بعيون تنبض بالحب والرضا. تتناغم ابتسامتها العذبة مع ضوء الأمل والسكينة الذي يملأ قلبي.

أشعر بالسعادة البالغة لأنني أدرك أنني مقبولة تمامًا كما أنا، بدون شروط أو تحفظات. لا يوجد في قلب جدتي إلا المحبة الصادقة والقبول العميق، حيث تعانقني بدفء يذيب كل الهموم والشكوك.

أحتضن هذا الحلم كنزًا نفيسًا، لا أرغب في الاستيقاظ منه أبدًا. أريد أن أظل غارقة في هذا العالم المشرق بحنان جدتي، حيث السلام يلفّني والفرح يغمر قلبي. في هذا الحلم، أجد الشجاعة لأكون نفسي بكل وضوح، دون خوف من الحكم أو الانتقاد.

أتنفس بعمق وأسبح في بحر الرضا، مع جدتي بجانبي تهمس لي بكلمات الدعم والإلهام. هذا الحلم هو ملاذي من عواصف الواقع، حيث أستعيد السلام والطمأنينة التي فقدتها.

في عالم الأحلام، أجد جدتي تغمرني بالحب اللا متناهي، تلقنني درسًا جديدًا في قبول الذات والفرح بالوجود. وأصبحت علامات قبولها وابتسامتها خارطة طريق رائعة تضيء دربي نحو السعادة والاكتمال.

الخاتمة ..

النجوم المضيئة في سماء الحياة

ذلك الجزء الذي يشكل محطة أخيرة في قصة الحياة، تأتي بسرعة غير متوقعة، خصوصًا للطيبين والصادقين الذين يملؤون حياتنا بالنور والدفء. هكذا، كما لو كان مشهدًا يتكرر بألم في سيناريو الوجود، يغادر الطيبون، تاركين خلفهم فراغًا يعجز الزمان عن ملئه. كأنما رحيلهم يبعث برسالة خفية، تصدح في صمت: "كان لنا بصمة خفيفة بينكم، ولكن معناها عظيم".

هذا الرحيل السريع لا يمكن لأحد تحمل وطأته بسهولة، فهو يترك وراءه أسئلة عديدة وأحزانًا متأصلة، ممزوجة بالحنين لوجود كان يضفي الجمال على الحياة. كيف لا، وأرواحهم كانت بمثابة واحات بالدنيا، يستظل تحت ظلالها محبوهم ومعارفهم، تمامًا كالنجوم التي تُضيء سماء الليل الداكن.

إذا، دعونا نتذكر أن كل لحظة نقضيها بصحبة هؤلاء الطيبين هي هدية ثمينة، هي فرصة للتعلم والتغذي من معين حكمتهم وطيبتهم. وعند رحيلهم، يصبح علينا واجب غير منقوص لإبقاء ذكرياتهم حية، ليس فقط في عقولنا ولكن

في أفعالنا أيضًا. فكل خطوة طيبة نخطوها، وكل كلمة حلوة نتفوه بها، تُعد تكريمًا لذكراهم .

لهذا، في ساعة الوداع، دعونا نسأل الخالق بقلوب صادقة أن يرحم أرواحًا كانت بهجتها وطيبتها تنير دروبنا في هذه الحياة. ودعونا نستلهم من حياتهم الدروس والقيم، لنحيا بطيب ونشر الخير كما فعلوا، لتظل ذكراهم نبراسًا يهدينا في هذا العالم المتلاطم بأمواج التحديات.

ختامًا، الدعاء والصلاة لكل نفس طيبة زيّنت الحياة بوجودها، لتبقى روحها في سلام ورضا. "اللهم ارحم أرواحًا كانت وجودها بالدنيا جميلة"، ولنتذكرهم بكل ما هو جميل، ففي الذكرى والدعاء لهم، تستمر الحياة رغم الفقد .

الكاتبة منزول فاطمة 🥀💔

النهاية..

تم بحمد الله.